مرتكزات النزاهة
وآليَّات مكافحة الفساد
في عهد الإمام علي (عليه السلام)
إلى مالك الأشتر (رحمه الله)
دراسة في ضوء تحليل الخطاب

Pillars of Integrity and Anti-Corruption Mechanisms in Imam Ali's Covenant with Malik al-Ashtar: A Study in Discourse Analysis

م. د عماد طالب موسى الخزاعي

المديريَّة العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة

Dr. Imad Talib Musa Al-Khuza'i

General Directorate of Education in the Holy Governorate of Karbala

ملخص البحث

لقد طفق الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) يخصفُ من ورقِ خدمةِ الإنسانيَّةِ تنظيرًا وتطبيقًا، فسالَتْ منهُ أوديةُ الهدايةِ، غرفَ منها من غرفَ ففازَ، وتجنَّبَها من تجنَّبَها -عصبيَّةً وطمعًا- فخابَ وتردى، حتى تربَّع (عليه السلام) على عرشِ التكاملِ، ليكونَ عالميًّا في كلِّ الفضائلِ الإنسانيَّةِ، والسياسيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والاجتماعيَّةِ، والأخلاقيَّةِ، فترجمَ الدينَ المحمَّديَّ الأصيلَ الذي أرادَهُ اللهُ سبحانه لعباده.

يتطلَّع هذا البحث إلى استكناه مرتكزات النزاهة وآليات مكافحة الفساد التي دبَّجها أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه للملأ بصورة عامة، ولمن يتسنَّم مقاليد السلطة والقيادة على وجه الخصوص، ولعمري ما هي إلَّا مبادئه التي سار عليها في حياته المباركة، ترجمها في أفعاله، وأسَّس لها في خطابه؛ لينقذ العالمين من غفلة الضلالة، إلى السراط المستقيم.

وقد رصد البحث ما جاد به المولى (عليه السلام) في هذا الشأن؛ ليدرسه في ضوء منهج تحليل الخطاب الذي ينطلق من المستوى البنيويِّ في الخطاب من الجملة وما فوق الجملة (النص) ثم ينتقل إلى أفق أوسع عندما يدخل المقام وأطراف الخطاب في معالجة الملفوظات وفهمها في منهج التداوليَّة، فتلك إجراءات تحليل اعتمدها البحث ليفاتش خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستقرَّ البحث على مبحثين عرض المبحث الأوَّل التحليل البنيوي، وبيَّن المبحث الآخر إجراءات التحليل التداولي من طريق نظرية الفعل الكلامي، ثم شُفع البحث بخاتمة قطفت نتائج الدراسة، ثم قائمة تضم مصادر البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

Abstract

Imam Ali (pbuh) reached the highest level of completeness, showing excellence in all humanitarian, political, economic, social and moral virtues. This research aims to explore the main pillars of integrity and anti-Corruption mechanisms that Imam Ali (pbuh) highlighted in his speeches, both to the general public and especially to those in power. It is none other than his principles, which he followed throughout his blessed life, as reflected in his actions and firmly established in his speeches. This research is conducted within the framework of the discourse analysis approach, which begins with the structural level of discourse: starting from the sentence, progressing to the text, then to the context, and finally to the participants in the discourse, in order to address and interpret utterances within the field of pragmatics. This research consists of two sections: the first presents the structural analysis, while the second outlines the procedures of pragmatic analysis through the speech act theory. The study concludes with a summary and a list of references. Our final Supplication is praise be to Allah, Lord of the worlds.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، أبي القاسم محمد، وآله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهَّرهم تطهيرا.

أمَّا بعد:

فقد نقش الإمام علي (عليه السلام) أسس بناء الدولة، وحفظ حقوق المواطنين، كان ذلك في عهدٍ هو الأطولُ في ما كُتِب في هذا المجال، وقد تميَّز بنظرته العامة والشموليَّة التي لا تقف عند حدود الإسلام والمسلمين، بل تشمل بنوده الإنسانَ بصورة عامة بغض النظر إذا كان مسلما أم لا، وما ذاك إلَّا لعمق نظرة الإسلام واحترامه للإنسانيَّة، وقد مثَّل القرآن الكريم المرجع الأساس لأحكام العهد؛ وما ذاك بغريب لأنَّه صادر من الثقل الآخر الذي قال عنه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إنَّه عدل القرآن ورديفه، فالإمام (عليه السلام) هو المصداق الحق للتعاليم السماويَّة التي حفظها القرآن بين دفتيه، وإذا قالت الآية المباركة: (اهدنا الصراط المستقيم) فلا أوضح استقامة من منهج علي (عليه السلام) بوصفه صراطا هاديًا إلى الله سبحانه، ومن مصاديق تلك الهداية ما خطَّه في هذا العهد المبارك إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه) بوصفه المتلقي المباشر للعهد؛ بيد أنَّ بنود العهد لا تقف عند مالك الأشتر(رضوان الله عليه) وإنَّما تسري على كل من يتسنم منصبًا قياديًّا ليكونَ رئيسًا لدولة، أو محافظًا على مدينةٍ.

يهدف البحث -بناء على ما تقدَّم-

إلى دراسة ما اختطَّه الإمام (عليه السلام) من أسس بناء الدولة، وما وضعه من آليات لمكافحة الفساد في الحكم، في محاولة نشر تلك المباني الاصلاحيَّة العلويَّة؛ لتكون بلسمًا وحجَّةً لمن يتسنَّم منصبًا إداريًّا وقياديًّا في بلدنا العزيز ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)؛ إذ شمل العهد تنظيم الحياة الإنسانية في الدولة، فوضَّح (عليه السلام) سلطة الوالي، وما عليه من واجبات، وما له من صلاحيَّات، وحدَّد مواصفات عمَّاله ووزرائه، وحذَّر من صفات هي للفساد منارا إذا اتُبِعت، ورغَّب في صفاتٍ تكشف نزاهة الوالي، ومقاييس تبيِّن عدالته، وطفق يفصِّل (عليه السلام) طبقات المجتمع، والتفاعل الحاصل بين تلك الطبقات وأثره في ديمومة الحياة بشكل متوازن.

لقد انتخب الباحث منهج تحليل الخطاب ليكون أداة الكشف عن مكامن العهد المبارك؛ بوصفه المنهج الأنجع في التحليل؛ لأنَّه يبدأ من النسق البنيوي الداخلي تحليلا وتتبُّعا للمعنى وانتهاءً بالتداول الذي يفسِّر اللغة بلحاظ المقام الذي قيلت فيه، فيهتم بالمتكلم وماذا قال، والمتلقي وماذا فهم، وأثر ذلك كلُّه على المتلقِّين بصورة عامَّة.

إنَّ العهد يمتاز بالطول وكثرة التفاصيل التي يتعذر على البحث بلحاظ حجمه ومساحته أن يستوعبه بأكمله؛ ولذلك اخترنا نماذج مفصليَّة للتحليل؛ لتكون منطلقًا لبيان أسلوب البحث ومميزاته، وأنظمته الإدارية، وذلك في مبحثين؛ الأوَّل حمل عنوان (التحليل البنيوي لمرتكزات النزاهة

وآليات مكافحة الفساد) ليكشف عن التماسك البنيوي بين تراكيب العهد، وبيان طبيعة لغته، والأساليب التي حملت بنوده، وعرض المبحث الآخر (التحليل التداولي لمرتكزات النزاهة وآليات مكافحة الفساد) فاعتمد البحث نظرية الأفعال الكلامية في تحليل خطاب العهد بوصفه خطابا متحرِّكا في كل عصر، وصالحا لكلِّ مكان.

ومن النتائج التي يتوقَّع الباحث الوصول إليها من طريق التأمُّل العام للعهد بلحاظ المنهج:

١- يشتمل العهد على كلِّ حيثيات إدارة الدولَّة الناجحة، وثبَّت الأسس للازمة لنجاحها، ووضع المعالجات الضرورية لتطبيب ما اعتورها من فساد في النظم الإدارية، بما فيها الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية.

٢- يتطلع البحث إلى الكشف أنَّ مالك الأشتر يعدُّ المتلقي الأوَّل للخطاب العلوي الذي اشتمل عليه العهد، وليس هو المقصود منه، ولا تقف بنود العهد عنده أو عند مرحلته، وليست هي خاصة لبلد مصر فقط، بل إنَّ المتلقي المستهدف هو كلُّ من يتسنم السلطة ويحكم بلاد، أو مؤسسة، وإنَّ بنوده تسري في كلِّ زمان ومكان؛ لأنَّها بنود تبني الدولة، وتُعز الإنسان، وتحفظ كرامته، وتزيل التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع، فهي خالدة وخلودها مستمد من مرجعياتها التي من أهمها القرآن الكريم.

وقد اعتمد البحث على كوكبة من المصادر؛ أبرزها شروح نهج البلاغة منها منهاج البراعة في شرح نهج

البلاغة لحبيب الله الخوئي، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، والتفسير منها؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، والمصادر التي أسَّست لمنهج تحليل الخطاب، منها: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، واللسانيات البنيوية منهجا واتجاهات، د. مصطفى غلفان، واللسانيات والدلالة، والمعجم منها؛ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرّم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ).

المبحث الأوَّل: التحليل البنيوي لمرتكزات النزاهة وآليات مكافحة الفساد:

تعدُّ البنيويَّة النقطة التي انطلق منها علم اللغة في العصر الحديث وأصبحت اللغة كيانًا يُدرس في ذاته ومن أجل ذاته[1]، وللبنى الأساسيَّة التي انبنت عليها أغلب الاتجاهات اللغوية التي ((تبدأ بسوسير وتنتهي بجومسكي، بل أن جومسكي نفسه قد عُدَّ بنائيا إذ أطلق (جان بياجيه) على نظرية جومسكي اسم (البنيوية التحويلية)))[2] والبنيوية تسمية اطلقت على المدارس اللسانية التي تدرس (نظام/ بنية) اللغة وتصفها، وقد ظهرت في منتصف القرن العشرين[3] ويُعدُّ سوسير أبًا للبنيويَّة بيد أنَّه لم يذكر (بنية) وإنَّما ذكر (النسق/ النظام) وقد ظهر مصطلح البنيوية عام ١٩٢٨م الذي يؤثر الشكل على المعنى، لتهتم بالنسق وطريقة بنائه، وتنظر إلى اللغة بوصفها بناءً أو نظامًا أو هيكلًا مستقلًّا عن منتجه، وظروف

انتاجه الخارجيَّة؛ لينظر إلى ذلك النظام من الداخل من طريق البحث عن الوحدات المكوِّنة له[٤] ويقابل اللغة بوصفها نظامًا الكلام بوصفه مظهرها المتحقِّق ((فهو الانجاز اللفظي المتنوع الذي انتقل من مرحلة الغموض والكمون في العقل الباطن ليصبح رموزاً مستحضرة واضحة تعبر عن مدلولاتها، وعلى هذا يترتب... أن لا يتركز البحث في اللغة على استقصاء أصولها التاريخية البعيدة، وإنما يتركز في دراسة تراكيبها وأصواتها وخصائص مفرداتها على النحو الذي تداوله الناس تداولاً حيًّا لا من خلال النصوص المكتوبة))[٥].

المعنى في البنيويَّة ((هو محصلة (توزيعية بنائية) يتحدد معنى الكلمة على أساس علاقاتها المتقاربة مع غيرها، ويعد الأمريكي (بلومفيلد) مؤسس هذا الاتجاه الشكلي في تحديد المعنى، غير أن هذا الاتجاه قد اصطدم بالاتجاه الدلالي(السيميائي) البنائي، الذي ثبت لديه المعنى الذهني، أو المعنى الإيحائي، المتأتي من الإيحاء الصوتي مثل خرير الماء وزقزقة العصافير))[٦] لتأتي مدرسة جينيف اللسانية بسمتها التعدُّدية في استقلال نظرة علمائها إلى اللغة؛ إذ تبنَّت مقولات سوسير ووسَّعتها لتكون طروحاتهم مهتمة بتحويل اللغة إلى كلام من طريق تركيزهم على جانبين؛ الأوَّل اللغة بوصفها نظامًا، والآخر مراعاتهم جانب الانفعال والتأثير ليلجوا إلى لسانيات الكلام تمهيدا للتداوليَّة[٧]، وخلاصة ذلك فقد اهتمَّت البنيويَّة بدراسة النسق اللغوي والوقوف على العلاقات الداخلية بين الألفاظ

لتحديد معناها أوَّلا، والخروج بالمعنى العام من النص ثانيًا، من دون الاعتماد على المؤشِّرات غير اللغويَّة في فهم المنطوق، ويعد هذا الإجراء أوَّل مراحل الظفر بمعنى البنية بوصفه يقدِّم خطوة في استعمال اللغة بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوَّة؛ لأنَّ اللسانيات التي درست الكلمات بوصفها إشارات لغوية تميَّزت بانشطارها في ثنائية الدال والمدلول عند سوسير -بغض النظر عن المرجع عند أوجدن وريتشاردز- فإنَّ هذه المعادلة إذا ما أريد لها أن تتجاوز حدود الإشارة بوصفها (كلمة) فإنَّها لا تعمل بهذه البدهيَّة وهذه الآلية، بلحاظ النظر إلى (القصد) في إطار النظر إلى الإشارة بوصفها كلمة مفردة، إذ قد يحرر المدلول من علاقته بالدال التي يقيمها في إطار الكلمة من منظور لساني، فالتعامل مع (القصد) مفهوم دلاليٌّ يحتاج إلى منظور سيمولوجي يخرج به من إطار الكلمة مفردة ليقرأ دالَّة في إطار آخر وهو الخطاب؛ لأنَّ (القصد) جزء من دلالة النص معنى، وخارج عنه اشتغالا، وليس جزءًا من دلالة الكلمة، ولذا فإنَّ أيَّ نصٍّ يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب، ومن ثَمَّ لا يقوى أن يحافظ على انسجامه الداخليِّ، وسيفقد في النتيجة توجُّهه الاتصالي[٨].

لقد ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فينا خير تركة، وأوصانا بالتمسُّك بهما؛ لأنَّهما السبيل المنجي من الضلال والهلكة، ولعمري كيف يغالي الفرد منَّا تقصيرًا وتجاهلا وعصبيَّة ولربما بغضًا؛ ليستأثر بطرف فيفهمه على هواه من دون الطرف

الرديف الذي يترجم الأوَّل ويرسم خطوطه الواضحة للناس، ولعل سبب عناء الأمَّة الإسلاميَّة الرئيس الذي جعلنا طرائق قددا هو عدم الالتزام بهذه التركة؛ لأنَّ القرآن الكريم بوصفه الكتاب الجامع لكلِّ شيءٍ، فيه سعادة الفرد في الدنيا والآخرة، وأهل البيت (عليهم السلام) هم المصداق الحق فعلا وقولا لما جاء في القرآن، فمن أراد التنظير والأحكام فهي محفوظة في كتاب الله سبحانه، ومن أراد توضيح ذلك التنظير ومعرفة مصاديقه فليقتفِ سيرة الثقل الآخر وهم أهل البيت (عليهم السلام) هذه المعادلة الدقيقة لا ينجو مطبقها ما لم يتقن الاقتداء بطرفيها، ولذلك تجد في القرآن الكريم آيات وآيات ركَّزت على خير الخلف (عليهم السلام) وقدَّمهم بوصفهم هداة الأمَّة من الضلال.

من سبل الهداية التي ترجمها مصداق الثقل الأوَّل الإمام علي (عليه السلام) هي بيان أسس النزاهة ومرتكزاتها لمن يتسنَّم السلطة، لنقف متأمِّلين في مضامين عهده الشريف، حيث يقول (عليه السلام):

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ - حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا - واسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلَادِهَا - أَمَرَه بِتَقْوَى اللهِ وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ - واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ - الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا - ولَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا - وأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَه بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ

- فَإِنَّـه جَـلَّ اسْـمُه قَـدْ تَكَفَّـلَ بِـنَصْرِ مَـنْ نَصَرَه وإِعْـزَازِ مَـنْ أَعَـزَّه - وأَمَـرَه أَنْ يَـكْسِرَ نَفْسَـه مِـنَ الشَّـهَوَاتِ - ويَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ - فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّـارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَـا رَحِـمَ الله - ثُـمَّ اعْلَـمْ يَـا مَالِـكُ أَنِّي قَـدْ وَجَّهْتُـكَ إِلَى بِلَادٍ قَـدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَـكَ مِـنْ عَـدْلٍ وَجَـوْرٍ وَأَنَّ النَّـاسَ يَنْظُـرُونَ مِـنْ أُمُـورِكَ فِي مِثْـلِ مَـا كُنْـتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُـورِ الْـوُلَاةِ قَبْلَـكَ وَيَقُولُـونَ فِيـكَ مَـا كُنْـتَ [تَقُولُـهُ] تَقُـولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْـتَدَلُّ عَلَى الصَّـالِحِينَ بِمَا يُجْـرِي الله لَهُـمْ عَلَى أَلْسُـنِ عِبَـادِهِ فَلْيَكُـنْ أَحَـبَّ الذَّخَائِـرِ إِلَيْـكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَـلِ الصَّالِـحِ فَامْلِـكْ هَـوَاكَ وَشُـحَّ بِنَفْسِـكَ عَمَّا لَا يَحِـلُّ لَـكَ فَـإِنَّ الشُّـحَّ بِالنَّفْـسِ الْإِنْصَـافُ مِنْهَـا فِـيمَا أَحَبَّـتْ أَوْ كَرِهَـتْ وَأَشْـعِرْ قَلْبَـكَ الرَّحْمَـةَ لِلرَّعِيَّـةِ وَالْمَحَبَّـةَ لَهُـمْ وَاللُّطْـفَ بِهِـمْ وَلَا تَكُونَـنَّ عَلَيْهِـمْ سَـبُعاً ضَارِيـاً تَغْتَنِـمُ أَكْلَهُـمْ فَإِنَّهُـمْ صِنْفَـانِ إِمَّـا أَخٌ لَكَ فِي الدِّيـنِ وَإِمَّـا نَـظِيرٌ لَـكَ فِي الْخَلْـقِ»[٩].

لقـد ذكـر الإمـام (عليـه السـلام) مرتكـزات النزاهـة على مسـتوى الإجمـال والتفصيـل في عهـده المبـارك الـذي يعـدُّ خطابًـا عامًّـا لمـن يتسـنم منصبًـا؛ لأنَّ مالـك الأشتر (رضي الله عنـه) ربيـب عليٍّ (عليـه السـلام) وتلميـذه الحـذق الـذي تغـذَّى منـه العلـم، والحلـم، والـصبر، وهـو العـالم بعـدل عليٍّ (عليـه السـلام) وطريقتـه في الحكـم أكثـر مـن غيره، ولعـلَّ هـذا العهـد الـذي اسـتهدف مالـكًا (رضي الله عنـه) بوصفـه المتلقيَ المباشرَ غايتـه غير مالـك وهـو كلُّ مـن يتسـنم منصبًـا يجـب أن يكـون هـذا نهجَـه، فالمقصـود المتلقـي غير المبـاشر، هـذا أوَّلًا، ثـم أنَّ مضـامين العهـد بلحـاظ صلاحهـا ونجاعتهـا في إدارة البـلاد صالحـة لكلِّ

زمن، من صدوره مرسومًا مكتوبًا إلى يومنا هذا، ويستمر إلى ما شاء الله سبحانه، وهو حجة قائمة على الحكّام إلى يوم الدين، بلحاظ الصدور شخصًا، والمضمون إدارةً، والصلاح غايةً؛ إذ ((صدّر (عليه السّلام) هذا العهد بذكر أمور هي غرض الولاية، وبها يكون نظام الأمر فمنها ما يعود إلى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج، ومنها ما يعود إلى الرعيّة وهي جهاد عدوّهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي، ومنها ما يعود إليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها))[١٠].

أوّلًا- قواعد بناء الدولة:

ذكر الإمام أربعة قواعدَ أساسيَّةٍ لبناء دولة ذات كيان قوي، وهي نفسها التي استنَّها لمالك (رضوان الله عليه) نذكرها بحسب الآتي:

١- **جِبَايَةَ خَرَاجِهَا**: الإفادة من خيرات البلاد وتسخيرها لخدمة المواطنين وهي من الوظائف المالية.

٢- **جِهَادَ عَدُوِّهَا**: حماية الوطن من الاعتداء الخارجي الذي يستهدف خيراته وهي من الشؤون الحربية.

٣- **اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا**: النظر في شؤون المواطنين ورفع مستواهم العلمي، والخلقي، والاجتماعي ويشمل الأمن والثقافة والصحة ووظائف الدولة والخدمات وما إلى ذلك من الشؤون الاجتماعية.

٤- **عِمَارَةَ بِلَادِهَا**: النهوض بخيرات البلاد وجعله بلدا منتجًا أكثر منه مستهلكًا

وتعمّ الزراعة والصناعة والتجارة والإسكان والمواصلات.

تلك الأسس الرئيسة لبناء دولة يسعد فيها مواطنوها، ويعيشون بحريَّة، في ظلِّ التوافق الاجتماعي،

وقد أعقب (عليه السلام) الإجمال الذي ذكره، ببيان صفات من يتصدى للحكم ليسير على وفق تلك القواعد؛ لأنَّ ذكر القواعد وحدها لا تنجح من دون حكَّام وقادة يتصفون بالنزاهة، ليعالجوا مواطن حكمهم على وفق الأسس المذكورة.

ثانيًا- صفات الحاكم الصالح: ذكر الإمام صفات عدَّة يُعرف بها الحاكم النزيه، وتميِّزه عن الحاكم السارق والعميل، على اختلاف درجته ومهما بلغ منصبه، نذكرها بحسب الآتي:

١- تَقْوَى الله وإِيْثَارِ طَاعَتِه: أن يتقي الحاكم الله أوَّلا وآخرًا، ويطيعه، وهو المرتكز الأوَّل لنزاهة الفرد، والحاكم.

٢- اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِه فِي كِتَابِه مِنْ فَرَائِضِه وسُنَنِه: إنَّ تقوى الله سبحانه تترجم من طريق اتباع أوامره واجتناب نواهيه (سبحانه) التي ذكرها في كتابه الكريم، فهذا المرتكز يكمِّل المرتكز الأوَّل.

٣- أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَه مِنَ الشَّهَوَاتِ: يمنعها ويثنيها عن الشهوات المحرَّمة، ولذلك استعمل حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض.

٤- يَزَعَهَا عِنْدَ الْجُمَحَاتِ: أن يكف الحاكم نفسه عن منزلقات الحرام، و((جَمَحَ) وَهُوَ ذَهَابُ الشَّيْءِ قُدُمًا بِغَلَبَةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ جَمَحَ الدَّابَّةُ جِمَاحًا إِذَا اعْتَزَّ فَارِسَهُ حَتَّى يَغْلِبَهُ. وَفَرَسٌ جَمُوحٌ))[١١]

لو بحثتَ عن أسباب فشل الحكَّام ستجدها لا تخرج عن عدم الالتزام بهذا القواعد والصفات؛ إذ اتبعوا الهوى والشهوات التي تشمل حبَّ المال، وعنجهيَّة السلطان،

والتكبُّر، والاستئثار بخيرات البلاد التي هي حقوق المواطنين؛ لغرض مصالحٍ شخصيَّةٍ، بيد أنَّ الحاكم أو رئيس الدولة -بالمصطلح المعاصر- إذا كسر هذه الشهوات، وخاف الله (سبحانه) واتبع ما أمر به في كتابه (سبحانه) وجاهد نفسه، لا شكَّ أنَّه سيكون حاكمًا نزيهًا ناجحًا.

إنَّ التسلسل المنطقي الذي جاء عليه الخطاب من الاجمال إلى التفصيل لهو من أسس بناء الخطاب المؤثِّر الذي يرصد مكامن الخلل ومعالجتها، ليجد محلل الخطاب مرتكزاتٍ متتاليةً هيَّأ السابقُ فيها للَّاحقِ من دونِ انقطاعٍ أو تباينٍ، هذا التسلسلُ المرنُ نجدُه بينَ مفاصلِ الخطابِ، وحتى في أجزاءِ كلِّ مفصلٍ من مفاصلِه؛ لأنَّ (جباية خراج البلاد) يوفِّرُ السيولةَ الازمةَ لـ(جهاد عدُّوها) ولا بدَّ من بناءِ المجتمعِ خلقيًّا ودينيًّا وجعلِه متماسكًا اجتماعيًّا يحترمُ المواطنةَ ويدافعُ عنها، فجيء بـ(استصلاح أهلها) وهي غايةُ الإسلامِ في بناء الانسانِ الصالحِ الذي يتمتعُ بمنظومةٍ قيميَّةٍ على وفق مبادئ الدين الحنيف، ليتجه إلى (عمارة البلاد) واستصلاح خيراتها وهو أمر يأتي بعد الاستقرار السياسي، وكذا الأمر في المقطع الثاني التفصيلي؛ إذ جاء الأمر الأوَّل ينظم علاقة الحاكم مع خالقه، وجاء أمره الآخر ينظم علاقة الحاكم مع ذاته، أضف إلى ذلك اللغة التقريريَّة الواضحة التي حملت المعاني من دون إغراق في مجاز أو غموض؛ ذلك أنَّ هدف الخطاب هو بيان مرتكزات الحكم والنزاهة فلزم أن تصاغ تلك المرتكزات بلغة لا تحتمل أكثر

من تفسير، ولذلك كان جهد شرَّاح النهج في هذا الموطن منصبًّا على بيان تلك الأسس ولم ينشغلوا في بيان معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب؛ لأنَّها واضحة ومفهومة -ما خلا القليل منها- وهذا الوضوح هو غاية البلاغة؛ لأنَّ بلاغة الخطاب أن يطابق مقتضى الحال، ومعالجة الفكرة التي من أجلها قيل.

إنَّ المتأمِّل في مستوى التركيب يجده قد ابتدأ بالجملة الإسميَّة ليدل على ثبوت المبدأ في الحكم (هذا ما...) واسم الإشارة (هذا) يشير إلى متعيَّن حاضر فيدلُّ على حضور مضامين العهد كاملة في ذهن منتج الخطاب ثم خطَّها على الرقعة، ممَّا يفصح عن منهجيَّة واضحة وثابتة لدى الإمام في إدارة الدولة، وجاءت الصلة بصيغة الجمل الفعلية (أمرَ... جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا - واسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلَادِهَا) لتدل على حركة تلك المرتكزات وسريانها في كل زمان.

والجباية من (((جَبَيَ) الْجِيمُ وَالْبَاءُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمُعْتَلِّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ الشَّيْءِ وَالتَّجَمُّعِ. يُقَالُ جَبَيْتُ الْمَالَ أَجْبِيهِ جِبَايَةً، وَجَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ. وَالْحَوْضُ نَفْسُهُ جَابِيَةٌ))[12]، و(اسْتِصْلَاحَ) من ((صَلَحَ: الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً... والاسْتِصْلاح: نَقِيضُ الإِسْتِفْسَادِ))[13] و(الاستفعال) بحسب العرف الصرفي يدل على الطلب[14] والمتابعة الذي ينضوي تحته في هذا السياق السعي والحث على صلاح الرعيَّة وتربيتهم على وفق مبادئ الدين المحمَّدي الأصيل.

أمَّا الأساليب النحويَّة فنجد أسلوبي النفي والتوكيد قد هيمنا على مساحة العهد؛ لأنَّ فحوى العهد قائم على خط مسار حكم الدولة، فيقدِّم المرتكزات وينهى ويحذِّر من الآفات ومنزلقات الفساد، ومن ذلك قوله (عليه السلام) المشتمل على أسلوب النفي: (لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا) وهو نفي مقترن أو منتقض بـ(إلا) ليفيد الحصر والتوكيد، وإن كانت كل الأساليب في العهد ترمي إلى التوكيد على تطبيق قوانينه -إن صح التعبير- فتلك قاعدة مفادها:

(تَقْوَى الله وَإِيْثَار طَاعَتِهِ وَاتِّبَاع مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ)

- **(لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا) × (لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا)**

- **بنية محوَّلة (سطحية)**[١٥] **× بنية محوَّلة (سطحيَّة)**

- **أدوات التحويل: لا + إلا= توكيد (حصر) × أدوات التحويل: لا + إلا= توكيد (حصر)**

- البنية العميقة (الأصل): (يسعد باتباعها) × البنية العميقة(الأصل): (يشقى مع جحودها وإضاعتها)

وقوله (عليه السلام): (فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ) و(وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ) و(وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله) و(فَإِنَّهُ لَا [يَدَيْ] يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ، وَجَدْتَ [عَنْهَا] مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَ تَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ) وغير هذه المواطن كثير،

وينبغي الإشارة إلى أنَّ النفي متسلط على المضامين التي لا ينبغي للحكام العمل بها، لا نفي المخاطب المباشر (مالك الأشتر) ونهيه عن فعلها؛ لأنَّ مثله لا يفعل مثلها.

ومن أسلوب التوكيد في العهد المبارك: «أَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ [بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ] بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ» و(وأَمَرَه أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَه مِنَ الشَّهَوَاتِ -ويَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ- فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ» و«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ» و«وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ» و«وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ» و«وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ» وَ«فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ» وقد جرى الأسلوب العربي في التوكيد أن يستعمل لدفع توهم وإنكار لمضمون الخطاب، لكن المتأمِّل في مضامين هذا الخطاب يجدها من الأساسيَّات التي نادى بها الدين الحنيف كتابًا وسنَّة، ولا يقوى أحدٌ على إنكارها، فكيف يؤكد لمالك الأشتر وهو من خُلَّص الإمام (عليه السلام) فلا يبقى مع ذلك إلَّا أن يكون التوكيد -لعله- خارج من إطار مراتب الخبر واحتماليَّته للصدق والكذب، ومسلَّط على ضرورة التطبيق، وهو لعله أمر لم يقل به أحد، وبطريقة أخرى ليس المراد بالتوكيد تأكيد الخبر ليكون

من صنف الخبر الإنكاري، وإنَّما توكيد يفيد الإلزام بمعنى إلزام كلِّ من يصل إليه الخطاب -بحسب تكليفه- أن يعمل به، ويسير على نهجه المرسوم، فهو توكيد تأسيس وأهميَّة لا توكيد تصديق وإنكار.

إنَّ مرجعيَّات مرتكزات النزاهة في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) مستمدَّة من القرآن الكريم سواء بصورة ضمنيَّة أم مباشرة؛ منها قوله (عليه السلام): (جباية خراجها) -مثلا- تعود إلى آيات كثيرة في هذا الشأن منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[16] إذ إنَّ الآية المباركة تدعو إلى استثمار خيرات الأرض وهي من نعم الله سبحانه والمسيطر عليها هو الحاكم للبلاد، الذي يأمر باستصلاح خيراتها وجبايتها، و((حَلالًا مفعول كلوا، أو حال مما في الأرض طَيِّباً طاهرا من كل شبهة وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام. و«من» للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول))[17] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[18]، وقوله (جِهَادَ عَدُوِّهَا) فإنَّ الضمير (الهاء) يعود إلى البلاد وهي البلاد الإسلاميَّة التي يُعدُّ الدفاع عنها واجبًا على كلِّ مواطن، وله ما يؤيِّدُه في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[19] وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ

عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٢٠].

قال (عليه السلام): «فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ» حيث استعار لفظ (الذخائر) - مفردها (ذخيرة) من ((ذخر: مَا ادخرته من مَال وَغَيره ذخرت أذخر ذخْرا ثمَّ كثر ذَلِك فِي كَلَامهم حَتَّى قَالُوا: ذخر لنَفسِهِ حَدِيثا حسنا إِذا أبقاه بعده))[٢١] -للعمل الصالح؛ لأنَّ الأصل فيها للماديَّات، وقد استُعيرت للمعنويَّات (العمل الصالح)؛ لأنَّ الأخير ينجي في الآخرة من النار، كما الذخيرة تسعف المقاتل في المعركة، والمال من الفاقة والعوز.

وقد ذكر (عليه السلام) ركائز العمل الصالح وهي:

- (امْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ)= الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ/ كَرِهَتْ.

- (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ - والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ)= من فضائل ملكة العفة.

- (ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ)= من فضائل ملكة العفة.

وبعدها شرع في بيان خارطة صلاح النفس؛ لأنَّ الحاكم إذا تمكَّن من رياضة نفسه وصلاحها، فإنَّ ذلك ينعكس إيجابًا على الرعيَّة، على وفق منهجيَّة سيذكرها الإمام أيضًا، وقد حصر (صلاح النفس) في خمسة أمور هي[٢٢]:

١- تقوى الله وخشيته.

٢- اتّباع أوامره في كتابه من فرائضه وسننه.

٣- أن ينصر اللهَّ سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدوّ، وإنكار

المنكرات. صلاح النفس.

٤- أن يكسر من نفسه عند الشهوات.

٥- أن يكفّها ويقاومها عند الجمحات.

المبحث الثاني: التحليل التداولي لمرتكزات النزاهة وآليات مكافحة الفساد في العهد:

برزت التداوليَّة في أمريكا في القرن التاسع عشر من طروحات شارل ساندرس بيرس (١٨٣٤- ١٩١٤) التي اهتمَّ فيها بالرمز، والإشارة، والأيقونة، وركَّز على البعد التواصلي للغة على وفق مقاربة تداولية تعنى (بورود العلامة)، ليكمل شارل موريس هذا المفهوم فميَّز بين مظاهر اللغة الطبيعية: المظهر التركيبي والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي، وبذلك بشر موريس بالمقاربة التداولية التي تدرس اللغة في سياقها التواصلي بوصفها صيحة على المناهج الشكلية التي تهتم بالتركيب والدلالة وتقصي الوظيفة الاستعمالية/ السياقية التي تعدّ ضرورة لاكتمال الفهم الدقيق للخطاب[٢٣].

تمثِّل التداولية تغيُّرًا في محور الاتجاه الفلسفي بتركيزه على دراسة اللغة، فكان انطلاق مفاهيمها من الفلسفة التحليلية من طريق رائدها غوتلوب فريجة؛ إذ وجَّه موضوع الفلسفة إلى تحليل اللغة[٢٤]؛ لأنَّ ذلك يرشدنا إلى تفسير فلسفيٍّ للفكر، والأخير يقودنا إلى الفهم الكلي للكون[٢٥]، وتابع هذا الطرح فلاسفة أكسفورد وتحديدًا (جون أوستين) الذي قدَّم (نظرية الأفعال الكلاميّة) عام ١٩٥٥م على وفق رؤية ((أن الوحدة الصغرى للاتصال الإنساني ليست الجمل ولا أية عبارة أخرى، بل هي إنجاز بعض أنماط من الأفعال))[٢٦]، فاللغة

أو ((التعابير اللغوية لا معنى لها إلاّ في سياق محدّد، أي أنّ اللفظ يأخذ معناه من المناسبة التي استعمل فيها))[٢٧]، لتأتي مرحلة نضوج النظرية على يد (جون سيرل)، فأكمل طروحات أستاذه أوستين في نظرية (الأفعال الكلامية) فبيَّن تأثير استعمال اللغة في إنجاز الأفعال الكلاميَّة ليدخل الفعل التأثيري لجميع الأفعال الإنجازية[٢٨]؛ إذ قال ((إنّ تمييزنا الأول هو بين الفعل التمريري (الإنجازي) الذي هو الهدف الحقيقي من تحليلنا، والفعل التأثيري الذي له علاقة بالنتائج الأخرى أو الآثار المترتبة على أفعالنا))[٢٩]، وأضاف -أيضًا- الأقوال المتضمنة في القول[٣٠]، ونشر غرايس في ١٩٥٧م مقالاً يتحدَّث عن الدلالة بيد أنَّه طوَّر الطرح التداولي، على وفق رؤية مغايرة لرؤية سابقيه؛ إذ ضمَّن بحثه الفلسفي ((طريقة جديدة في فهم التداولية ومسألة التواصل، وتمثل الإسهام الرئيسي لـ (غرايس) على المستوى النظري في أنّه أدخل مفهوم الاستلزام الحواري الذي مكَّن من فهم اختلاف المألوف بين دلالة الجملة والمعنى الذي يبلغه القول، وعلى مستوى التواصل اقترح مبدأ التعاون، الذي يلزم افتراضا أنّ السامع قد احترمه حتى يتمكن من تأويل ما يريد المتكلم قوله))[٣١] فنتج عن تلك الطروحات ((المنهج التداولي، الذي يولي أهمية قصوى للشروط غير اللغوية، والمتعلّقة بالسياق والمقام، والمتكلّمين، ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال))[٣٢]

وقد عرَّفها تشارلز موريس سنة

١٩٣٨م، بقوله: ((التداولية التي تعالج العلاقة بين العلامة ومفسريها))[٣٣]، ليشمل هذا التعريف ((الأنساق اللسانية وغير اللسانية))[٣٤]، وعند فرانسواز أرمينكو هي ((دراسة الشروط القبلية للتواصلية كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط تواصلية عامة، وهي ترتبط بكليات الاستعمال التواصلي عامة))[٣٥]، ولعل هذا التعريف أقرب لبيان متضمنات القول، بوصفها تقوم على معلومات مسبقة، وقال الدكتور محمود أحمد نحله ((أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنَّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما))[٣٦].

والتداولية ((ليست بنظرية خاصة بقدر ما هي تشابك للعديد من التيارات التي تشترك في عدد من أمهات الأفكار))[٣٧] لذا نرى تنوِّع منابع المفاهيم التداوليَّة؛ فأنتجت الفلسفة التحليلية وتحديدا تيار اللغة العاديَّة (نظرية الأفعال الكلاميَّة) و(نظرية المحادثة أي الاستلزام الحواري) أمَّا (نظرية الملاءمة) فمرجعها إلى علم النفس المعرفي، و نشأت (الإشاريات) من بحوث السيميائية لبيرس، وموريس[٣٨].

ويقف البحث في تحليله لخطاب العهد عند نظرية الأفعال الكلاميَّة التي قدَّم سيرل الإطار النظري

المطلوب لها، بغية تدعيم البعد التواصلي وتطويره، إذ أحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها النظرية وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عن نظرية سيرل في الأفعال الكلامية، بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين[٣٩]، وكانت دراسة اللغة عند سيرل في كتابه (أفعال الكلام) بمثابة خطوة أولى في رحلة طويلة لا تعدو أن تكون اللغة معلما واحدا من معالمها، أما بقية المعالم الأخرى فكانت الوعي، والقصدية[٤٠]، والواقع الاجتماعي[٤١].

ويعرف سيرل أفعال الكلام بأنها: ((أقل الوحدات في التواصل اللغوي أو قل إن الفعل الكلامي هو أقل وحدة في استعمال اللغة الفعلي))[٤٢]. ويمكننا أن نلخص مجمل جهود سيرل بالآتي[٤٣]:

١- نص سيرل على أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يُبيِّن لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدِّيه المتكلم بنطقه للجملة مثل: النبر والتنغيم، وعلامات الترقيم، وصيغة الفعل وما يسمى الأفعال الأدائية.

٢- قام بتعديل التقسيم الذي قدَّمه أوستين للأفعال الكلاميَّة فجعله أربعة أقسام:

- الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية.

- الفعل القضوي: الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث

به أو الخبر.

- الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع.

- الفعل التأثيري: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه.

٣- الفعل الكلامي عند سيرل أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي.

٤- قام سيرل بتطوير شروط الملائمة فجعلها أربعة شروط[٤٤]:

- شرط المحتوى القضوي: ويتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى قضية).

- الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً على إنجاز الفعل.

- شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنَّه قادر على فعل ما لا يستطيع.

- الشرط الأساسي: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

٥- أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية، فبين أوجه الضعف فيه[٤٥] فقدم تصنيفه البديل على أسس منهجية ثلاثة: (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شروط الإخلاص)، وأبقاها خمسة أصناف على النحو الآتي[٤٦]:

أ- **الإخباريات** Assertives: الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، والإخباريَّات تحتمل إحدى قيمتي الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم إما الحالة النفسية لها فهي الإعتقاد.

ب- التوجيهيات Directives:

وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها دائما هو فعل السامع شيئا في المستقبل.

ت- الالتزاميات commissives:

وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو النية أو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل.

ث- التعبيريات Expressives:

وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة.

ج- الإعلانيات Declarations:

والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وأنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا على أنها تقتضي عرفا لغويا، واتجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص[٤٧].

٦- كان أوستين قد فرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، ثم جاء سيرل فخطا في هذا الاتجاه خطوة واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسمها الأفعال المباشرة (Di-rect) وغير المباشرة (indirect)[٤٨]، والأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد

المتكلم، أما غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

إن نظرية الأفعال الكلاميَّة ترى في اللغة طاقة كامنة بوصفها وسيلة لإنجاز أعمال، فرسَّختْ تحليل اللغة والدلالة في التناول الذي يعنى بقول المتكلم، فيُعدُّ بمثابة عمل حقيقي يضاهي الحدث المادي المنجز بواسطة اليد، وهذه النظرية تتقاطع مع الرؤية القديمة للغة التي تعدها أداة لوصف الواقع، كما تتقاطع مع اللسانيات الأولى السوسيرية والبنيوية؛ إذ ركّزت النظر على قواعد اللغة الداخلية منفصلة عن الكلام، ويؤكد سيرل أنَّ عملية توجيه التحليل للكلام ليست مجرد دراسة له بالمصطلح السوسيري، بل هي دراسة للغة في كليتها[٤٩].

وفي الآتي يجتهد البحث في قراءة العهد على وفق التحليل التداولي من طريق صنفه الأهم وهو (نظرية الأفعال الكلاميَّة).

أوَّلا- الإعلانيات:

قال الإمام علي (عليه السلام) في مفتتح عهده: «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا...**»[٥٠] يمثل هذا المقطع من العهد فعلا كلاميًّا مباشرًا من نوع الإعلانيات؛ إذ أعلن (عليه السلام) أنَّ مالكا الأشتر هو واليه على مصر، وقد تحقق في هذا الإعلان جميع شروط الفعل الكلامي، وهي أنَّ المتكلم يمتلك السلطة المطلقة التي تؤهله لتنصيب الولاة على الأمصار، ويمتلك قوَّة التأثير في المتلقي لينجز الفعل، وأنَّ متلقي الخطاب المباشر (مالك الأشتر) لديه القدرة الكافية

على تحقيق مضمون ذلك الإعلان فعلا، أمَّا أركان الفعل الكلامي فهي:

- **الفعل النطقي**: وهو يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية، وجاء في العهد بحسب الامتداد البنيوي الآتي: اسم الإشارة (هذا) + الاسم الموصول (ما) + الفعل الماضي (أمرَ)+ الجار والمجرور (به) + الفاعل/ منتج الخطاب + المفعول به/ متلقي الخطاب المباشر + جار ومجرور ومضاف إليه (في عهده) + جار ومجرور (إليه) + ظرف (حين) + فعل ماضي (ولَّا) + فاعل مستتر (هو) + مفعول به ضمير متصل (الهاء) + مفعول به ثاني (مصر).

إنَّ هندسة بناء تركيب فعل الكلام هذا توحي بأهميَّة المعلن من أمرين؛ الأوَّل مكانة مالك الأشتر من طريق الضمائر المتصلة التي تعود إليه، وأهمية العهد بوصفه وثيقة عالمية.

- **الفعل القضوي**: الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع وهو مالك الأشتر، والمتحدث به أو الخبر وهو مضمون العهد.

- **الفعل الإنجازي**: وهو ما يؤديه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع، وهو ولاية مالك الأشتر على مصر.

- **الفعل التأثيري**: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه، وهذا التأثير مستمر من زمن إعلان العهد إلى يومنا هذا، ويعد الفيصل الكاشف عن الحاكم الذي يسير على عهد علي (عليه السلام) في طريقته بالحكم، وبين من يتخلف عن ذلك.

ومن الإعلانيات في العهد قوله (عليه السلام): «**وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ**

مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»[٥١] لقد ارتبط هنا الإعلان بالإخبار؛ إذ أخبر عن سبب تغيير نعمة الله سبحانه، ثم أعلن عن رعاية الله سبحانه وعقوبته وحربه للظالمين، فالذي يهمنا شق الخطاب الثاني وهو «فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ» إذ اشتمل على فعل كلامي غير مباشر من نوع الإعلانيات غرضه التحذير؛ إذ يحذر الإمام هنا الولاة من ظلم الرعية؛ لأنّ الله سبحانه سميع دعوة المظلومين، ولهم بالمرصاد، وليست الغاية أن يخبر بذلك بقدر ما هو تحذير من غضب الله سبحانه وسخطه على الذين يأكلون أموال العباد بالباطل، وينهبون خيرات البلاد ويستأثرون بها.

ثانيا- الأفعال التوجيهيَّة:

تمثل الأفعال التوجيهية السمة البارزة في العهد؛ إذ تكاد تطغى على عمومه؛ ولعلّ ذلك أنَّ الغاية من العهد توجيه الحكام على كيفية إدارة البلاد بالشكل الصحيح، والابتعاد عن الفساد، ومن آليات معالجة الفساد قوله (عليه السلام): «وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَاَ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ»[٥٢]

لقد حذَّر الخطاب في هذا المقطع من الاستغلال الوظيفي، واتخاذ

المنصب غطاء لنهب خيرات الشعب، وقد تضمَّن الخطاب أفعالا كلاميَّة من صنف التوجيهيَّات والإخباريَّات تكشف عند قراءتها أنَّ الخطاب يرمي إلى معالجة آفات الحكومات؛ لأنَّ قوله (عليه السلام): «وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ» يستلزم أنَّ هناك حكومات ظالمة كانت تمارس قوتها لنهب خيرات البلاد، وتجويع أهلها، لذلك جاء فعل التوجيه مبني على أسلوب النهي (الفعل النطقي) من طريق توضيف (لا) الناهية، ونون التوكيد (لا تكونَنَّ) وقدَّم المتعلَّق (عليهم) لأهميَّة الرعيَّة عند الإمام (عليه السلام) وقباحة الخبر الذي يمثِّل صفة الاستغلال والنهب (سبعا) ولم يكتفِ (عليه السلام) بهذا، فأردف وصفا يبيِّن بشاعة الظلم والاستغلال حيث قال (ضاريا) ليكشف عن أشد ما يكون عليه السبع من قساوة ووحشية وهكذا هم، وحقق ودقَّق (عيه السلام) في أجزاء الصورة الوحشية للحاكم الظالم بجملة حالية (تغتنم أكلَهم) والغنيمة ((انْتِهَازُ الغُنم. والغُنم والغَنِيمة والمَغْنم: الْفَيْءُ))[٥٣]، والخطاب يركز على معالجة الفساد، ومن نجاعة الفعل الكلامي عند تحليله أنَّه يبيِّن آليات بنائه وأسباب صدوره، وهذا يعزز قولنا أنَّ مالكا الأشتر (رضي الله عنه) غير مقصود ببنوده، ثم علَّل (عليه السلام) ما تقدَّم بقوله «فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ...» إذ تعد هذه العبارة من أرقى العبارات التي تجسِّد حقوق الإنسان في التاريخ، وهي صالحة إلى ما شاء الله في بسط الخليقة، ولو

التزم بها الحكام لما ظُلِم إنسان قط، وبيَّن حال الرعية بأنَّهم يصدر منهم الخطأ، والزلل، فهم غير معصومين، ويجب معاملتهم بمثل ما نحب أن نعامل، وخلاصة الفعل الكلامي في هذا المقطع من الخطاب:

- **الفعل القضوي**: الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، وهو الحاكم وخيرات الشعب.

- **الفعل الإنجازي**: فعل توجيهي غير مباشر، وهو إعطاء حق الشعب وعدم التجاوز عليها.

- **الفعل التأثيري**: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه، وتحققه مرهون بإعطاء حقوق الشعب وعدم استئثار الحكام بها.

وقد ذكر الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع آلية مهمَّة من آليات مكافحة الفساد وهي أنَّ من يظلم الناس وينهب حقوقهم يجب أن يعلم أنَّ الله سبحانه هو خصمه والمنتقم للمظلومين من عباده؛ فكشف الخطاب عن العلاقة بين الحاكم ورعيَّته، وطبيعة بعض الفئات التي تتزلَّف وتستأثر برضا السلطان على حساب حقوق الرعية؛ إذ قال عليه السلام: «**وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ**»(٥٤) لقد قدَّم الإسلام منظومة متكاملة من الحقوق والواجبات تحفظ للرعية حقوقهم وتبيِّن لهم واجباتهم تجاه الدولة، وكذلك بيَّن الأسس التي يسير عليها الحكام في حكمهم ولا يعدون بكونهم عمَّالا ينظمون أمور البلاد، وقد ترجم ذلك كله الإمام علي (عليه السلام) ولخَّصه في عهده

هذا الذي هو خطاب عام لكل زمان ومكان لا لأنَّه يمثل خلاصة التعاليم الإسلامية في إدارة الدولة وتنظيم أمور الرعية وحسب، وإنَّما هو أساس حقوق الإنسان التي تسالمت عليه المجتمعات؛ وقد تضمَّن الخطاب آنف الذكر فعلا كلاميًّا غير مباشر من صنف التوجيهيَّات، وغير مباشر من وجهين؛ الأوَّل أن المنطوق يمثل نتيجة لعصيات التعاليم الإسلامية تجاه الرعية، فمن يغصب حقهم، ويظلمهم يكن مخالفا لما أمر به الله سبحانه، والآخر فإن تعبير (حرب الله) تعبيرا مجازيا وهو كناية عن المعصية، فإنَّ الظلم وصل مداه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن الحكام من تنصل عن الدين وسوَّف أحكامه طمعا في الدنيا، وقد عبَّر الإمام (عليه السلام) عن ذلك ونهى عنه بقوله: «**وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله**» إذ ثَمَّة من نصب نفسه لحرب الله سبحانه، والحرب كناية عن المعصية المتمثِّلة بجحود تعاليمه، وقد عاش الإسلام أحداثا كبيرة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) انخرط أكثر من يدعي أنَّه صحابي في هذه الحرب، وبات يخضم أموال المسلمين خضم الإبل نبتة الربيع[٥٥]، ولو استقاموا على الطريقة لصانوا البلاد والعباد وأنفسهم مغبَّة ظلم اجترحوه، وسنن سيِّئة استنَّوها لتكون عليهم نقمة[٥٦]، مبيِّن قدرة الله سبحانه وقوته، فكيف يعصي من لا حول ولا قوة من هو قادر جبَّار، أمَّا أركان الفعل الكلامي فهي:

- **الفعل النطقي**: لاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله.
- **الفعل القضوي**: تحذير الحاكم

من غضب الله.

- **الفعل الإنجازي**: الالتزام بتعاليم الدين الحنيف.

- **الفعل التأثيري**: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه، فمن التزم أمِن، ومن عصى خاب وتردَّى.

ثالثا- الاخباريات:

تميَّزت أفعال الإخباريات في العهد بطابع الإرشاد والنصح والموعظة، وصيغت بأسلوب مميَّز قائم على عرض آفة من آفات الفساد، ووضع العلاج الناجع لها؛ إذ قال (عليه السلام): «وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرِ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، يَفِيءُ»[٥٧] نرى البناء التركيبي قائم على أسلوب الشرط، فمثَّل فعل الشرط آفة من آفات الفساد الإداري، وجاء جواب الشرط لعلاجها، ولنا أن نتمثَّل ذلك بحسب أركان الفعل الكلامي:

- **الفعل النطقي**: قوامه أسلوب الشرط، من طريق الأداة (إذا) غير الجازمة، وهي تستعمل مع الحدث الكثير، لأنَّها تفيد وقوع الفعل أكثر من (إن) ويكثر استعمالها مع الفعل الماضي وهو في العهد (أحدث)؛ لأنَّها تدل على التحقق بلحاظ لفظه، بخلاف (إنْ) التي تستعمل في المعاني المحتملة، والمشكوك فيها، فإن غلب معها الفعل المضارع[٥٨]، و(أحدث) بحسب المعجم من ((الحَدَثُ: الإِبْداءُ؛ وَقَدْ أَحْدَث: مِنَ الحَدَثِ. وَيُقَالُ: أَحْدَثَ الرجلُ إِذا صَلَّعَ، أَيَّ ذَلِكَ فَعَلَ فَهُوَ مُحْدِثٌ؛ قَالَ: وأَحْدَثَ الرجلُ وأَحْدَثَتِ المرأَةُ إِذا زَنَيا؛ يُكنى

بالإِحْداثِ عَنِ الزِّنَا))[٥٩] فما هذه الدقة في وصف الحدث، وكيف جيئ بفعل يكنى به عن الفاحشة ليُستعمل في وصف التكبر والأبَّهة.

أمَّا تركيب جواب الشرط فجاء فعل أمر مقترن بالفاء (فانظر) إلى عظيم ملك الله سبحانه فوقك أيها الحاكم المتكبر لتعي وتدرك حجمك وحجم ملكك الزائل هذا، وانظر إلى نفوذك وقوَّتك ومدى ضآلتها وعجزها أمام قوَّة الله سبحانه وقدرته، فإذا تأمَّلت ذلك بقلب واعٍ فهو كفيل بجلاء صدأ كبر القلب، وعنفوان الملك عندها تعود إلى رشدك وتعاليم دينك، واللطيفة في الاستعمال أنَّه (عليه السلام) قال: (انظر إلى ملك الله) ولم يقل مثلا إلى عظيم صنع الله سبحانه، أو تدبيره؛ ولعل ذلك لأنَّه يتحدث عن أثر الملك في تكبُّر الحاكم فناسب بين الموضوع والعبرة بالمثل.

- **الفعل القضوي**: المتحدث عنه وهو ما يحدثه الملك من تكبر (المرض)، والمتحدث به التفكر في ملك الله وقدرته (العلاج).

- **الفعل الإنجازي**: وهو فعل كلامي غير مباشر من صنف الاخباريات، مفاده الوعظ والارشاد.

- **الفعل التأثيري**: وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه.

تلك أبرز الأفعال الكلاميَّة السائدة في العهد، أمَّا الالتزاميَّات والتعبيريَّات فهي قليلة، وبصورة غير مباشرة.

الخاتمة

بعد هذه السياحة العلميَّة في روضة من رياض النهج التي تخط الطريق السليم لقيادة الدولة وإدارتها، وتعالج

آفات الفساد فيها، يطيب للبحث أن يسجِّل ما عنَّ له من نتائج، وهي:

١- لقد فصَّل العهد كل حيثيات إدارة الدولَة، وثبَّت الأسس للازمة لنجاحها، ووضع المعالجات الضرورية لتطبيب ما اعتورها من فساد في النظم الإدارية، بما فيها الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية.

٢- كشف البحث أن مالك الأشتر يعدُّ المتلقي الأول للخطاب العلوي الذي اشتمل عليه العهد، وليس هو المقصود منه، ولا تقف بنود العهد عنده أو عند مرحلته، وليست هي خاصة لبلد مصر، بل إنَّ المتلقي المستهدف هو كل من يتسنم السلطة ويحكم بلاد، أو مؤسسة، وإنَّ بنوده تسري في كل زمان ومكان؛ لأنَّها بنود تبني الدولة، وتُعز الإنسان، وتحفظ كرامته، وتزيل التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع، فهي خالدة وخلودها مستمد من مرجعياتها التي من أهمها القرآن الكريم.

٣- لقد تميَّز الخطاب بهندسة بنائية غاية في الدقَّة قوامها ذكر العام ثم يُردف ذلك العام بالتفصيل الدقيق؛ إذ يذكر القاعدة وبعدها يذكر أسس تلك القاعدة الإداريَّة، ويبيِّن (عليه السلام) الأسباب والعلل لصلاح القاعدة في حم البلاد.

٤- وجد البحث دقة في انتظام تتابع موضوعات العهد؛ إذ يذكر صلاحيات الوالي (الحاكم) ثم يذكر واجباته الأساسيَّة، ثم ما يجوز فعله وما لا يجب أن يفعله.

٥- لقد فصَّل العهد صفات قادة الجيش، والأمراء، والمستشارين، ونهى عن استعمال فئات أخرى تحمل صفات معيَّنة؛ لأنَّ في تقريبها مفسدة

للحكم.

٦- يمثِّل العهد قانونا دوليًّا في حكم الدول، وضمان حقوق مواطنيها، بدليل قوله (عليه السلام): (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ). وهذا قانون يشمل جميع الناس مهما اختلفت توجهاتهم، ومذاهبهم، فهو ينظم الإنسانيَّة بما هي إنسانيَّة.

٧- وجد البحث أسلوبين قد هيمنا على لغة العهد وهما أسلوب النفي، وأسلوب التوكيد، فالنفي جاء ليعالج الفساد الإداري، والتوكيد ورد في أكثر استعمالاته ليثبِّت قواعد النزاهة المنبثقة من رؤية الحكم الصحيح، ونجد بعد ذلك أسلوب الشرط الذي جاء في أغلبه يحمل ثنائيات؛ إذ يذكر في جواب الشرط الفساد الإداري، وفي جوابه آليات معالجة الفساد.

٨- تميَّزت لغة العهد بالوضوح والتقرير إلى حدٍّ ما؛ ولعلَّ ذلك يعود إلى الغاية من العهد وهي تثبيت أسس إدارة الدولة، ومعالجة الفساد فيها، فجاءت اللغة سهلة التراكيب، واضحة المعاني، سلسة النسج، لا تحتمل عباراتها غير معنى واحد فقط، وهذا غاية الفصاحة في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٩- لقد اشتمل الخطاب على أفعال كلاميَّة كثيرة، يُعدُّ إنجازها المتحقق السير على تعاليم الدين الحنيف، يكون الحاكم على وفقها نزيها فيظهر الفعل التأثيري واضحا فيه، ومن لا يلتزم بإنجازها المتحقق في كل عصر يكن فاسدًا غاصبا لحقوق الرعيَّة، ولا يظهر فعلها التأثيري عليه، ومن ثَم فليس هو من الإسلام في شيء.

١٠- لقد غلبت الأفعال الكلاميَّة

المباشرة - وهي التي يطابق فيها إنجازها الحرفي القصد - الأفعالَ الكلاميَّةَ غير المباشرة - وهي التي لا يطابق فيها الفعل القولي القصد - ولعل ذلك مرتبط بالغاية وهي ترصين دعائم الحكم الإسلامي الصحيح، ومكافحة الفساد الذي استشرى ويستشري على مرِّ الزمان، ولأنَّ الفعل الكلامي غير المباشر يحمل قراءات عدَّة يكن متلقي الخطاب شريكا في إنتاجها، أمَّا الفعل الكلامي المباشر فلا يحتمل غير قراءة واحدة يحملها فعل القول وتكون مطابقة لمحتواه القضوي والفعل الإنجازي، وهذه غاية الدقة والروعة في التعبير.

الهوامش:

(١) ينظر: علم اللغة العام: ٣٤.

(٢) البحوث اللغوية والأدبية. (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات: ٧١.

(٣) ينظر: اللسانيات البنيوية: ٣٠.

(٤) ينظر: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية: ١٠٦.

(٥) الاتجاهات النحوية لدى القدماء . دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة: ٣٥.

(٦) البحوث الأدبية واللغوية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات): ٨٩.

(٧) ينظر: النظام اللساني وآلية عمله من تجريدات سوسير والبنيويين إلى تحقيقات التلفظيين: ٢٨٣.

(٨) ينظر: اللسانيات والدلالة: ٦٦- ٦٧.

(٩) نهج البلاغة، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح: ٤٢٦- ٤٢٧.

(١٠) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ١٣٥.

(١١) مقاييس اللغة: ١/ ٤٧٦.

(١٢) مقاييس اللغة: ١/ ٥٠٣.

(١٣) لسان العرب: ٢/ ٥١١- ٥١٢.

(١٤) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي: ٦٤٦.

(١٥) لقد ساد مصطلحا البنية السطحية والبنية العميقة في النظرية التوليدي التحويلية التي تنسب (Gen-erative Transformational Theory) إلى العالم اللغوي الأمريكي (أفرام نعوم جومسكي) وذلك عندما أصدر كتابه (البنى النحوية) عام (١٩٥٧م) بوصفه الإعلان الرسمي لنظريته، فأحدث تحوِّلًا كبيرًا في الدرس اللغوي في أمريكا لينتقل البحث فيها من الدراسة المقارنة و الوصفية للغة إلى دراسة علمية وعدّها عِلْمًا قائمًا مستقلاً، وسرى تأثير طروحاته على الباحثين في

العالم حتى إنَّ الدراسات اللغوية اليوم إمَّا أن تكون مهتدية بمبادئها، أو إنَّها تجعلها النقطة التي تبتدأ منها لتبرر اختلافها عنها إن اختلفت، وتربط بين البنيتين (قواعدُ التحويلِ) فهي الرابطُ التفسيريُّ بينَ البنيةِ العميقةِ للتركيبِ والبنيةِ السطحيَّةِ في تجلياتِ الاستعمالِ، وهو مصطلحٌ ظهرَ في تضاعيفِ النظريَّةِ التوليديَّةِ التحويليَّةِ، يقع على عاتقِهِ تنظيمُ التحويلاتِ من البنيةِ العميقةِ إلى البنيةِ السطحيَّةِ من طريقِ كشفِ القوانين التي تحقِّقُ ذلك، وذلك في كتابِهِ (جوانب من نظرية النحو) عام (١٩٦٥) وأصبحَ له من الأهميَّةِ حتى عُدَّ عنصراً أساسًا في نظريَّتِهِ اللغويَّةِ. ينظر: جوانب من نظرية النحو: ٥، وچومسكي والثورة اللغوية: ١٢٦.

(١٦) سورة البقرة: ١٦٨.

(١٧) الكشاف: ١/ ٢١٣.

(١٨) سورة الأعراف: ١٠.

(١٩) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢٠) سورة الحج: ٣٩.

(٢١) جمهرة اللغة: ١/ ٥٨١، وينظر: لسان العرب: ٤/ ٣٠٢.

(٢٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ١٤١.

(٢٣) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ١١، والتداولية من أستن إلى غوفمان: ٤٣.

(٢٤) ينظر: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١.

(٢٥) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجا، (أطروحة دكتوراه): ١٥.

(٢٦) محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٤- ١٠٨.

(٢٧) اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: ١٤٥.

(٢٨) ينظر: التداولية اليوم -علم جديد في التواصل: ٣٣.

(٢٩) العقل واللغة والمجتمع: ٢٠٢.

(٣٠) ينظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢٠٤- ٢٠٥.

(٣١) القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١٢.

(٣٢) البعد التداولي عند سيبويه: ٢٤٥- ٢٤٦.

(٣٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩، وينظر: التداولية اليوم: ٢٩، والأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سيبويه: ٢٦٢ هامش ١، ومغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في ((شروح التلخيص)) للخطيب القزويني: ٣٢.

(٣٤) الأسس الإبستمولوجية والتداولية: ٢٦٢ هامش ١.

(٣٥) المقاربة التداولية: ٨٤.

(٣٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.

(٣٧) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٠١-١٠٢.

(٣٨) ينظر: التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي: ١٧.

(٣٩) ينظر: آفاق جديدة: ٤٧، وفلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل: ٥٤.

(٤٠) ركز سيرل على مفهوم القصد بلحاظ أنَّ (فعل الكلام) مظهر من مظاهر القصدية، ذلك أن معرفة الرسالة أو القول لا تنحصر في فهم نظام اللغة وحده، بل يتطلب الأمر معرفة مسبقة بالسياقات التي تتجاوز حدود الدلالة اللسانية التقليدية إلى خلق دلالات تنسجم وتتلاءم وفعل الكلام بوصفه مظهرا للقصدية. ينظر في ذلك: عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ٧١.

(٤١) ينظر: فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل: ٤١- ٤٢.

(٤٢) المصدر نفسه: ٥٤.

(٤٣) ينظر: آفاق جديدة: ٤٧- ٤٨.

(٤٤) ينظر: آفاق جديدة: ٤٨. كما أشار إلى أن ثمة اثني عشر بعداً يختلف بها كل فعل إنجازي عن الآخر. ومحاضرات في فلسفة اللغة: ١١٤- ١١٥، وآفاق جديدة: ٧٥.

(٤٥) وجه سيرل لتصنيف أوستين عِدّة اعتراضات منها: افتقاره بوجه العموم إلى مبادئ واضحة ومتماسكة يعتمد عليها للتمييز بين الأفعال الكلامية. للاستزادة ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٣، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٢٩.

(٤٦) ينظر: آفاق جديدة: ٧٨.

(٤٧) سُجِّلت بعض الانتقادات على تصنيف سيرل، للاستزادة ينظر: الإنشاء في العربية: ٥٠٨، ونظرية الفعل الكلامي: ١٣٠.

(٤٨) ينظر: آفاق جديدة: ٨٠.

(٤٩) ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان: ٥٥- ٥٦.

(٥٠) خطب نهج البلاغة: ٤٢٧.

(٥١) خطب نهج البلاغة: ٤٢٨.

(٥٢) خطب نهج البلاغة: ٤٢٩.

(٥٣) لسان العرب: ١٢/ ٤٤٥.

(٥٤) خطب نهج البلاغة: ٤٢٩.

(٥٥) لقد فصَّل ذلك الإمام علي (عليه السلام) في خطبة له تفصيلا، نذكر منها: «فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لله وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ

إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِه مَعَ هَنٍ وهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْه، بَيْنَ نَثِيلِه ومُعْتَلَفِه، وقَامَ مَعَه بَنُو أَبِيه يَخْضَمُونَ مَالَ الله، خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْه فَتْلُه وأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُه، وكَبَتْ بِه بِطْنَتُه» ينظر: خطب نهج البلاغة، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح: ٤٨- ٤٩.

(٥٦) أحداث السقيفة وقبلها التخلف عن حملة أسامة، وتولي الإدلاء من الأول إلى الثاني، والشورى في الثالث، كلها تدخل تحت (ولا تنصبن نفسك لحرب الله) بصريح حديث الغدير.

(٥٧) خطب نهج البلاغة: ٤٢٨.

(٥٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٢٠٤. وينظر: معاني النحو: ٤/ ٧٧.

(٥٩) لسان العرب: ٢/ ١٣٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

• آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

• الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، حليمة أحمد عمايرة، دار وائل، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

• الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

• البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات)، د. هادي نهر، دار الأمل، الأردن، ط: ١، ٢٠٠٥م.

• البحوث اللغوية والأدبية. (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات)، د. هادي نهر، دار الأمل، الأردن، ط: ١، ٢٠٠٥م.

• البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

• البعد التداولي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الفكر، العدد الأول، مج ٣٣، ٢٠٠١ م.

• التداوليات علم استعمال اللغة، مجموعة باحثين، اعداد وتقديم: د. حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

• تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

• التداولية اليوم- علم جديد في التواصل-: آن ريبول، وجاك موشلار، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

• التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.

• التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا- اللاذقية، ط١، ٢٠٠٩م.

• جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

• جوانب من نظرية النحو (مقدمة المترجم)، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، (د. ط)، ١٩٨٥ م.

• جومسكي والثورة اللغوية (مقال)، جون سيرل، مجلة الفكر العربي، العدد ٨- ٩، السنة الأولى، ١٩٧٩.

• شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، منشورات مؤسسة النصر، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٧٨.

• علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: الدكتور يوئيل يوف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك وسف المطلبي، دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.

• فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي)، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م.

• في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة، تقديم الأستاذ: سلمان حسن العاني، مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

• القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الاساتذة والباحثين، باشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد،

السحب الثاني، منشورات دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، (د. ط)، ٢٠١٠م.

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

• لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرّم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٠هـ.

• اللسانيات البنيوية منهجا واتجاهات، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

• اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري حلب، ط١، ١٩٩٦م.

• اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، (مجموعة باحثين)، إعداد وتقديم: مخلق سيد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م: ١٨٥، وينظر: في المعنى مباحث دلالية معرفية، د. صابر الحباشة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.

• محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيرت- لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

• المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

• معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

• معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،

١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
• مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في ((شروح التلخيص)) للخطيب القزويني، د. صابر الحباشة، دار صفحات، سورية- دمشق، ط١، ٢٠١١م.
• المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، (د. ط)، ١٩٨٦م.
• المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجا، (دكتوراه)، ليلى جادة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
• النظام اللساني وآلية عمله من تجريدات سوسير والبنيويين إلى تحقيقات التلفظيين، ضمن كتاب العودة إلى سوسير، أعمال المؤتمر الدولي (دي سوسير بعد مائة عام من الغياب) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض مراكش- المغرب، الإعداد والتنسيق: حافظ اسماعيل علوي، عبد الجليل الأزدي، مولاي يوسف الإدريسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
• النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو جورج الياسرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
• نهج البلاغة، ضبط وابتكر فهارسهُ العلمية الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧م.